دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف

أ.بكراوي عبد العالي، أ.مرشدي شريف، المركز الجامعي لغليزان

ملخص

تعتبر المدارس القرآنية في الجنوب الجزائري–ادرار–مؤسسة من مؤسسات التنشئة الإجتماعية ولها دور مهم للغاية في تربية النشء الصاعد ولقد أعطيت لهذه المدارس هذا الدور الرفيع لا فقط لأنها تربي وتوسع مدارك الأطفال وتعلمهم تعاليم دينهم فحسب ولكن أيضا وعلى الخصوص تجعل منهم زيادة على كونهم متعلمين مواطنين صالحين يعرفون حق الله ويحترمون حقوق الناس ولعل هذا البحث يسلط الضوء على هذا المؤسسة من خلال إبراز دورها في الحد من العنف لدى المراهقين.

1 . مقدمة:

باعتبار العنف ظاهرة نفسية اجتماعية متعددة الأبعاد لها آثارا سلبية خطيرة على الفرد والمجتمع حيث تتعدد أشكالهوأنواعه بتعدد المواقف فهناك العنف التربوي والأسري والعنف في الملاعب...الخ. لكن معناه واحد وهو إيذاء الشخص وإلحاق الضرر به، ونجد ان العنف يغرس في نفس الطفل منذ صغره فهو سلوك يكتسب وينشأ مع الطفل خطوة بخطوة ليصل الى ذروته في فترة الشباب والمراهقة وهي فترة التمرد. مما يؤكد دور التربية السليمة في تهذيب الطباع لتأتي هذه المداخلة كمحاولة لإعطاء مزيدا من الاهتمام لمواجهتها والسعي إلى مواجهتها معالجتها.

2 . التربية:

تعد التربية بكل أنواعها مقومات تنمية للإنسان وهي تمر عبر مراحل حياته المختلفة منذ الطفولة حتى المراهقة والرشد، ولا تتوقف عند مرحلة محدودة أو تنتهي إلا بانتهاء حياة الإنسان، فيظل يتعلم ويعلم ينمو وينمي، والطفل عندما يتعلم عبر مراحل عمره المختلفة فإنه يخزن ويستوعب عادات وسلوكيات مكتسبة من واقعه الأسري والاجتماعي فهو يتعلم من التربية الموجهة أو التربية العشوائية غير المنتظمة، عنف المزاج أو شدة التعامل مع أحداث الواقع من خلال ما يشاهده وما يعايشه في محيطه الاجتماعي، وهنا يتضح بجلاء دور الأسرة في توجيه الطفل توجيها تربوياً فعالا كبيئة أولية يفتح الطفل عينه فيها ويعتمد على نموه عليها فهي ملاذه ومعلمته وموجهته.

فالأسرة هي الأرضية لتكوين الطفل لتجعل منه إنسانا فهي القاعدة لكل بناء مستقبلي وبها يتحدد مسار أعضائها من خلال التربية والتنشئة التي تقوم بها. وعندما يخرج من محيطه الضيق المحدود في الأسرة إلى محيط واسع كالمدرسة، يتلاقى فيه لساعات طويلة أطفالا ذوي خلفيات تربوية وأسرية واجتماعية واقتصادية مختلفة .فالمدرسة هي البيئة الثانية أهمية من حيث القدرة على التأثير في سلوكيات

وأخلاقيات الطفل كما أنها تمده بالتجارب المختلفة من خلال التعامل مع الآخرين ومراقبة سلوكياتهم. وعادة يتم اكتساب السلوك العنيف من الأقران في المدرسة والتعامل به مع الإخوة في الأسرة (أحمد هاشمي:2004ص31)

فالمدرسة من المفترض أن تكمل دور الأسرة من اجل رعاية البذرة الطيبة، ويمكن ان نضيف هنا المدرسة القرآنية – الكتاتيب- التي يدخلها الطفل قبل المدرسة التربوية

فمؤسسات التنشئة الاجتماعية تتقاسم جميعها المسؤولية وإذا تكاملت وتآزرت في أداء دورها في عملية التربية تأتي هذه الأخيرة سليمة وخالية من المضاعفات بينما إذا تعارضت أو ترك لكل منها حرية التصرف يأتي فعل التربية مشوشاً ومعاقاً ويؤدي إلى بروز الكثير من الآفات الاجتماعية والانحرافات السلوكي وسنركز في هذه المداخلة على المدرسة القرآنية كمؤسسة تربوية تساهم في تربية النشء.

3 . المدرسة القرآنية:

أولا علينا التمييز بين الزوايا والمدرسة القرآنية

1.3 . تعريف الزاوية.

1.1.3 . لـــغـــة:

الزوايا مفردها زاوية وهي مشتقة من الفعل ''انزوى، يتزوي'' بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من فعل ''زوى'' و''أزوى'' بمعنى ابتعد وانعزل، كما في كتب اللغة سميت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة هم من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت.

- وفعل زوا الشيء يزويه زيا، أي جمعه وقبضه وفي الحديث ''زويت في الأرض فأريت مشارقها ومغاربها''، وزوى ما بين عينه أي جمعه.

وقال الأعشى:

يزيد بعض لطرف عيني كأنما زوى عيناه على المعاجم

والزاوية من البيت ركنه لأنها جمعت قطرا منه، أي جمع زاوية، والزاوية في الأصل ركن البناء، كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في المشرق، واكتسب مصطلح الزاوية تغييرا في المفهوم منذ العصور

الوسطى في العالم الإسلامي وتطورت من الدير إلى الخانقات أو النكة التي أصبحت تطلق بصفة خاصة من طرف الفرس على المنشآت الصوفية عند المسلمين.

والزاوية في شمال إفريقيا أكثر شمولا، إذ تطلق على البناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه الدير أو المدرسة، والزاوية عند الشيخ محمد باي بلعالم: من فعل زوى أي جمع، لان فيها تتجمع الصفوف والفقراء وطلبة العلم، ويجمع فيها المال بطرق مشروعة قصد تمويلها وتسيير نظامها. (محمد باي بلعالم:2000)

2.1.3. اصطـــلاحـــا:

أما اصطلاحا: فيطلق اسم الزاوية ويراد بها مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد الغير جامع ليس فيه منبر، كما جاء في المعجم الوسيط، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موقع بالبصرة، كان له الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل وعلى قرية بالمدينة بها قصر انس، وعلى بلد بواسط، وقرية بالأندلس، كما جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري-رحمه الله- وفي القاموس المحيط، كما سميت بها مدينة من مدن القطر الليبي.

والزاوية مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية، وهي تختلف حسب وظائفها ونشاطها.(محمد نسيب،د س"ص27)

كما عرّفت الزوايا على أنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والذكر، وتتخذ فيها مأوى لطلبة القرآن والعلم والزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين، وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري، كما لها شأن عظيم ووجودا اجتماعيا قويا.

ويقول بن مرزوق في كلامه عن الزاوية في زمانه:

كما خلفت الزاوية نظام الرباط، وأصبحت هي المجال الحيوي لتكوين المتصوفة، وتربية النفس بمنهج فكري وعقائدي خاص بكل طائفة أو طريقة دينية، وهي تعد مكانا للعبادة والزهد وتلقي الأوراد وللضيافة.

أما عن أهل توات، فتعرف الزاوية على أنها مسجد خاص بطائفة دينية من الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء الصالحين، تتصل به غالبا مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو أقارب الولي الصالح.(محمد باي بلعالم،200،ص01)

وفي تعريف آخر للتواتيين، يقصد بها تلك الصدقات الجارية التي يجسدها شخص ما في حياته، وتبقى قائمة بعد وفاته من خلال نص موثق تحدد فيه طبيعتها، وقيمتها لينتفع بها عامة الناس، ويشرف عليها

صاحبها أثناء حياته وبعد موته، يتعاقب عليها ورثته أو المقدمين للطريقة أو للزاوية.

وما يميز الزاوية أنها أهم ركيزة للتصوف وانتشاره، ولصياغة منهجية حركية تهتم بعدة أمور تعجز عنها الدولة، فهي خلية اجتماعية يرتادها الأهلون لقضاء حوائجهم، كما أنها مكتفية بذاتها من جميع النواحي الاقتصادية، ويأم الشباب للزاوية باعتبارها جامعة عليا يتلقى فيها الدروس الشرعية على أيدي كبار العلماء والمشايخ للزاوية، وإلى جانب ذلك كانت الزاوية تغرس في نفوس الشباب روح الجهاد، لذلك كانت تهتم بعنصر التدريب العسكري.

ومن خلال التعاريف السابقة الذكر، نلاحظ أن هناك تقارب واضح في تعريف كل واحد، وهذه التعاريف بدورها منبثقة من أصل واحد، ألا وهو الأسس العربية الإسلامية إن لم نقل عن اعتبارها مسيحية المنشأ، لكن الزاوية عند التواتيين كانت أكثر تجليا، وذلك من خلال عدة تعاريف سموها بأنفسهم واتخذوا من مبادئ الإسلام والعقيدة الصحيحة منهجا لهم في وضعها.

وكانت الزاوية في توات عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة، موزعة في جهات مختلفة عن المدن والقرى والقصور التواتية في شكل دور (مسجد صغير)، يقيم فيه المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، وما يتعلق بها من علوم عقلية ومنطقية ولغوية.

2.3 . نشأة الزوايا وانتشارها:

يذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في الأصل رباط تحول مع مرور الزمن لزاوية، وقد اكتظت تلك الرباطات بالنخبة من أبناء المسلمين، وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا كبيرا، فلم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى، بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها العلماء للتدريس بها وتأليف الكتب، والرسائل القيمة في مختلف العلوم والمعارف، أي منبع ومنهل فكري وديني قائم بذاته وبعد انقضاء الجهاد تحول بعض تلك الرباطات إلى زوايا وغادرها حينئذ بعض المتصوفة لإنشاء مراكز شبيهة بها قصد نشر العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة، لتكون مبعثا لأنوار الشريعة والطريقة، فكان لهم ذلك كما أرادوا، ومن بين الأسباب التي أوحت بفكرة إنشاء الزاوية، رغبة الشيخ الصوفي المربي في الاجتماع بمريديه وتلاميذه وهو ما لا يتسنى له في الرباط، حيث توجد مختلف شرائح المجتمع.

فالزوايا التي بها طلبة داخليون وحسب إحصائيات مديرية الشؤون الدينية لولاية أدرار لسنة2006 ثلاثة وعشرون (23م) مدرسة وزاوية قرآنية بتعداد طلبة يفوق ثلاثة آلاف وستمائة وأربعة عشر (3614 طالبا). وهذه هي المدارس والزواياالقرآنية الداخلية الكبرى في المنطقة، وهي مرتبة بحسب تعداد الطلبة المتمدرسينفيها:

1.مدرسةالشيخ سيدي الحاج محمد بلكبير، أدرار، الشيخ سيدي الحاج محمد بلكبير،ابنه الحاجعبد الله، 700ط

2. مدرسةالشيخ الحاج الحسان، لقصر الفوقانيأنزجمير، الشيخ الحاج الحسان، الشيخ الحاج الحسان، 570ط

3. مدرسةالشيخ العالمي، قصر زاجلو المرابطين، الشيخ محمد العالمي، الشيخ محمدالعالمي، 297ط

4. مدرسةالشيخ الحاج لكبير، لغمارة بودة، الشيخ الحاج لكبير بن لكبير، الشيخ الحاجلكبير بن لكبير، 175ط

5. مدرسةالشيخ الطالب سالم بن ابراهيمن، أدرار، الشيخ الطالب سالم بن ابراهيم، الشيخالطالب سالم بن إبراهيم، 163ط

6. مدرسةالشيخ الحاج امحمد بكاري، بني مهلالتيميمون، الشيخ الحاج أمحمد بكاري، الشيخ الحاج أمحمد بكاري، 160ط

7. مدرسةالشيخ سيدي لحبيب، تاسفاوتفنوغيل، الشيخ سيدي لحبيب، الشيخ مولايالحاج، 159ط

8. مدرسةالشيخ الحاج الصالح أوكادو، تنقلينتيميمون، الشيخ الحاج الصالح أوكادو، الشيخ الحاج الصالح أوكادو، 150ط

9. مدرسةالشيخ خليلي، تيميمون، الشيخ الحاج أحمد خليلين الشيخ الحاج أحمدخليلي، 150ط

10. مدرسةالشيخ الحاج عبد القادر بكراوي، نومناسفنوغيل، الشيخ الحاج عبد القادربكراوي، الشيخ الحاج عبد القادربكراوي، 136ط

11. مدرسةالشيخ سيدي أحمد ديدي، تمنطيطفنوغيل، الشيخ سيدي أحمد ديدين الشيخ الحاج أحمدبكري، 130ط

12. مدرسةالشيخ مولاي التهامين، أوقديم أدرار، الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، الشيخ مولايالتهامي غيتاوي، 130ط

13. مدرسةالشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي، رقان، الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي، الشيخالحاج عبد الكريم الدباغي، 130ط

14. مدرسةالشيخ باي بلعالم، الركينة أولف، الشيخ باي بلعالم، الشيخ بايبلعالمن 104ط

15. مدرسةالشيخ مولاي أحمد الطاهري، العلوشيةسالين، الشيخ مولاي أحمد الطاهريالإدريسي، ابنه مولاي عبد الله، 100ط

16. مدرسةالشيخ الحاج محمد الدباغي، زاوية الدباغتنركوكن الشيخ الحاج محمد الدباغين الشيخ الحاج

محمد الدباغين 70ط

17. مدرسةالشيخ الحاج عبد الكريم لحبيبن، باحوسالي، الشيخ الحاج عبد الكريم لحبيبن، الشيخ الحاج عبد الكريم لحبيب، 70ط

18. مدرسةالشيخ الحاج محمد عبد الفتاح، لعيادتسابيت، الشيخ الحاج محمد عبد الفتاح، الشيخ الحاج محمد عبد الفتاحن، 70ط

19. المدرسة الكنتية، زاويةكنتة، الشيخ عبد القادر بن عمر الكنتي، الشيخ الحاج امحمد الكنتي، 60ط

20. مدرسةالشيخ الحاج عبد القادر حلوات، برج باجيمختار، الشيخ عبد القادر حلوات، الشيخ عبد القادر حلوات، 50ط

21. مدرسةالشيخ حماوي الحاج عبد القادر، أدغاأدرار، الشيخ حماوي الحاج عبد القادر، الشيخ حماوي الحاج عبد القادر، 40

22. مدرسةالشيخ الحاج ع العزيز سيدي عمر، مهديةأدرار، الشيخ الحاج عبد العزيز سيديعمر، الشيخ الحاج عبد العزيز سيدي عمر، 30

23. مدرسةالشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي، قصر جديدتامست، الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي، الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي

أما عدد الكتاتيب فهو خمسمائة وثمـــــانيةعشر (518) مدرسة قرآنية وبتعداد طلبة يفوق واحدا وستين وخمسمائة وثلاثة وخمسين 61553) طالبا)

4 ــ "ما هي الكتاتيب ؟؟"

الكتاتيب ومفردها كُتّاب، والكتاب: هو موضع الكتابة، والمكان الذي يتلقى فيه الصبيان العلم، ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءة وكتابة، وتلقي مبادئ الدين الإسلامي، واللغة العربية، وبعض العلوم الأخرى، ويدير الكتاب معلم يطلق عليه عدة أسماء منها: المعلم، المؤدب، الفقيه، الملا، المطوع، الشيخ وهو الرجل الصالح الذي يوظف نفسه لخدمة الناس ويشترط فيه عدة شروط من أهمها: – رسوخ العقيدة الإسلامية لديه– الإلمام بالمواد التي يدرسها، مراعاة ميول وحاجات الأطفال ومعاملتهم بالإحسان والتلطّف، وإلى جانب المؤدب يوجد شخص آخر يسمى العريف، وهو بمثابة أحد كبار الصبية النابهين، يشرف على زملائه في فترة غياب المؤدب. ولا يقتصر دور المؤدب على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وغيرها، بل يحرص على تنشئتهم النشأة الصالحة ويغرس في نفوسهم الأخلاق الحميدة والمبادئ الفاضلة.

وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية في سائر القصور التواتية، ويطلق عليها أسماء مختلف

كـــ"الجامع" بتوات، و"الأقربيش" بتيديكلتو"المحضرة" بتينجورارين، وقد لعبت هذه الزوايا دورا بارزا في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية، وهي المتمثلة في القائمة التالية حسب إحصائيات مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية ادرار(محمد باي بلعالم:2005،ص216)

وتجدر الإشارة إلى أن جل تلاميذ المدارس في ولاية ادرار يرتادون الذهاب إلى الكتاتيب في مختلف المراحل السنية بعد صلاة الصبح من 30 ال45 دقيقة. وبعد صلاة العصر تليها استراحة لا تتجاوز 15 دقيقة، ثم العودة: من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء. هذا أثناء الدراسة في المدرسة حيث أن 81.4 % ، من أفراد عينة الدراسة الإستطلاعية التي أجريت بمتوسطة عبد الله بن عمر ببلدية سالي التي تبعد عن مقر الولاية ادرار ب115 كم يذهبون أثناء الدراسة في المدرسة القرآنية.

5 ــ خصائص الدراسة في الكتاتيب:

1-الروح الجماعية: باعتبار ان الكتاتيب توفر لطلبتها العمل في جماعات حيث اورد "بول هبوفس" محكاتأساسية تميز الجماعة متمثلة في وجود تفاعل بين أفرادها وتوفر أهداف مشتركة (جابر عوض السيد:1999).

2-الإشتراك: يبرز في وجود شيء مشترك بين اعضاء هذه المدارس ووجود تجانس نفسي يمكنهم من التفاهم والتقارب واحترام بعضهم البعض حيث أكد فروي دان ظهور اهتمامات مشتركة بين أعضاء الجماعة يولد بينهم شعورا بالوحدة والتضامن (مصطفى سويق:1980ص302)

3-التنافس: ونظرا كون هذه المدارس تسعى لتحفيظ طلابها القرآن الكريم فمن الطبيعي ان يوجد تنافس يؤدي الى المثابرة والجد من طرفهم وهذا نظرا للمكانة التي يحظى بها حافظ كتاب الله في المجتمع من خلال إقامة حفلات خاصة به وتقام الولائم فرحا به مما يولد فخرا للأولياء

الخضوع التام لأمام المدرس

مزاولة الدراسة في الكتاتيب القرآنية:

	التكرار		النسبة المئوية	
	2 و1السنة	4 و3السنة	2 و1السنة	4 و3السنة
أثناء الدراسة	215	130	%81.4	%46.4
في العطل	36	109	%13.6	%38.9
لا يذهب	13	41	%4.9	%14.6

وتحاول الدراسة إلىإبراز دور هذه الكتاتيب من خلال طرح سؤال هل محدودية السلوك العدواني لدى أفراد المنطقة راجع إلى تأثير هذه الكتاتيب والمدارس القرآنية؟.

وتنطلق الدراسة من كون الكتاتيب القرآنية كانت ذلك الحصن المنيع الذي تحطمت على أسواره كل محاولات طمس الشخصية الدينية والوطنية بالمحافظة على اللغة العربية فهل يمكن ان نستفيد

منها كمؤسسة دينية تربوية في الحد من ظاهرة العنف؟

من خلال الدور التربوي للكتاتيب الذي يساهم في نجاعتهالاحترام الذي يوليه الطلبة للإمام المدرس، والدور الاجتماعي الذي تلعبه داخل الحي والقرية والمدينة واستغلال الثقة التي تعطى للكتاتيب من طرف الأولياء وضرورة التنسيق بين المدرسة التربوية والكتاتيب القرآنية، وعدم تجاهلها من طرف الدولة التي تولي اهتمام أكبر لمؤسسات أخرى ترفيهية كدور الشباب والمراكز الثقافي.

6 . المراجع:

1. احمد هاشمي(2004)علاقة النماط السلوكية للطفل بالأنماط التربوية الأسرية،دارقرطبة للنشر والتوزيع
2. جابر عوض السيد(1999)، العمل نع الجماعات أساسيات مبادئ نماذج، دار المعرفة الجامعية
3. محمد سويق(1980)، الأسس النفسية للتكامل الإجتماعي،دار المعارف،مصر،ط2
4. محمد نسيب: زوايا العلم والقراءة بالجزائر، الجزائر، دار الفكر– سوريا، دار الفكر العربي بوزريعة
5. محمد باي بلعالم: أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام 1، 2، 3 ماي 2000م
6. محمد باي بلعالم(2005)، الرحلة العلية لمنطقة توات، ج1، الجزائر، دار هومة،
7. بحيدي حسان ومحمد عبد القادر(2000، 2001)، الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات، مذكرة ليسانس علم المكتبات والوثائق، بإشراف: أصحى محمد، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران